Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالنفيس والغال فى سبيل الإبقاء عليها ، دون أن يقدموا تعليلا لاعتزازهم بهذه الصفة أو تلك ، بل إنهم فيما بينهم وبين أنفسهم لايدركون تفسيرا لاحتفالهم بها ، سوى أنها من الصفات المحمودة التى توارثوها عن الأسلاف ، فالجود ، والنجدة ، والشهامة ، والجراءة ، والعفة صفات يتمدحون بها ويتفاخرون باحتيازها ، ويتهاجون باستلابها ، فإذا سألت واحدا منهم عن السر فى ذلك لم تجد لديه جوابا شافيا يتعمق وراء الأسرار ، يفصل ويفسر ، ولكن قصارى ماتجده لديهم — فى ذلك الصدد — أنها صفات محمودة ، وخلائق كريمة يعتز بها البدوى حقا عن سلف ؛ فهم لايعنون بالأسرار والعلل قدر عنايتهم الآثار والمظاهر .

* * *

بيد أن ساكنى البادية لم يكونوا جميعا على مستوى واحد فى النظر إلى مايحيط بهم ، والتأثر ببيئتهم ، وذلك لأن الإقامة وحدها فى البادية لا تكفى لتصبغ الإنسان بطابع البادية ؛ فقد يكون مقامه بالبادية لكنه يصنع لنفسه داخل الباديه بيئة أخرى تعتمد على المقومات الحضرية بكل طبائعها وأعرافها وسجاياها ، كأولئك البدو الذين أنشأوا الإمارات فى داخل البادية وشيدوا القصور وجمعوا إليها من أسباب الحياة الحضرية مانقلهم من بيئتهم ، وإن كانوا مقيمين داخل الصحراء ، محاطين بأطرافها ، خاضعين لأخلاقياتها ومقاييس الحياة فيها ، مثلما رأينا من قبيلة كندة حين أنشأ أبناؤها إمارة كندة فى مقابلة إمارتى الحيرة والشام .

وليس من شك فى أن مثل هذا الوسط — مع أن ساكنيه لم يخرجوا من البادية — لايمكن أن يوفر لساكنيه ماتوفره البادية الخالصة لساكنيها من طبائع وسجايا ؛ لأن المقصود بالبادية ليس هو الأرض لذاتها ، ولكن المقصود بها الأرض ذات الظروف والطبائع والأعراف البدوية الخالصة من الصنعة ، الخالية من التهذيب .

ومن ثم فإن المقصود بالأديب البدوى ذلك الأديب الذى يعيش داخل إطار البيئة البادية فى سلوكه وثقافته وتفكيره ، وأخلاقياته ، وتصوراته ، بحيث لايتعارض فى شىء من ذلك مع ماتنص به الأرض التى يدرج عليها ، فكل مايصدر عنه من سلوك أو فكر يدور فى هذا المحور البدوى ، كما أن كل مايعبر به عن مكنون نفسه ، وبعض مشاعره لا يشذ عن مكوناته النفسية ، ومقوماته الخلقية .